المنهج الأصيل في تدبر القرآن الكريم

د. عبد الهادي لعقاب
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر

ملخص البحث باللغة الانجليزية

All praiseis for Allah as He isrightfullydeserving of praise and mayHisprayers of peacebeupon Hischosenprophet. As to what proceeds;

Truly Allah the Exalted and High has honored this nation with His book and even made mention of it saying what means, “We have certainly sent down to you a Book in which is your mention. Then will you not reason?” To truly obtain that honor and be deserving of such mention, devotion to Allah’s speech by way of recitation, contemplation, reflection, and understanding must be exercised, which is the ultimate goal of its revelation. Allah says what means, “[This is] a blessed Book which We have revealed to you, [O Muhammad], that they might reflect upon its verses and that those of understanding would be reminded.” As the messenger of guidance, peace and blessings be upon him, was the chief of those of understanding, and the leader of those who reflect, his noble companions found sufficiency in his tradition and therefore it is my wish to share some of their amazing examples in this regard.

With Allah lies success and guidance to the correct way.

Répondre, Répondre à tous ou Transférer | Plus

إن الحديث عن كلام الله تعالى، أصدقِ القيل، وأحسنِ الحديث، لكلامٌ ينزل على العقول النبيهة فيزيدها نصاحةً، وينساب من الألسنة الذّربة فينمّيها فصاحةً، إنه الكتاب المعجز، والمعجزة الخالدة، التي بها شرّف الله سبحانه أمة الإسلام فصارت خير أمة أخرجت للناس، كتاب ارتضاه الله عزّ وجلّ للثقلين نبراسا منيرا، ومنهاجا مبينا:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾(1)، "فتبارك الذي جعل كلامه حياة للقلوب وشفاء لما في الصدور" (2).

إنه موعظة تذكرنا بالتزام الحق والخير واجتناب الباطل والشر، وشفاء من كل ما يؤذينا من الشرور النفسية والجسدية، وهدى يدلنا ويرشدنا إلى حسن المقصد والبغية، ورحمة يحسن الله بها إلينا ويلطف بها لنا من كل ما نحذر.

فكانت هذه المزايا التي ذكرها الله سبحانه في هذه الآية: من شريف ما يتنافس المؤمنون في تحصيله، ويتبارى المتسابقون في نيله، ولا يكون ذلك إلا بالاعتناء بكتاب الله حفظا وجمعا، والاهتمام به تلاوة وذكرا، والغوص في معانيه تفهما وتدبرا.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى تدبر كلامه هو الغاية من إنزاله فقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[3]، فكان تدبر كلام الله تعالى من أغلى لبانات الطالبين، وأعلى مطالب العارفين، وأرحب سبيل للوصول إلى هداياته وأوسع، وأرفق أسلوب لذلك وأنفع.

لذلك كان لزاما على كل مؤمن أن يسعى لينفع نفسه بالقرآن، ويتشبع بهداياته، ويهتدي بتشريعاته، ويتتبع سنن الأولين في الاعتناء به، والالتفاف حول نوره، وصرف الأوقات في تفهمه وتدبره.

وإني حاولت في مقالي هذا، ما أسعفني به المولى من فتح وما أمدّني به من عون، أن أبيّن حال السلف الصالح في تدبرهم لكتاب الله سبحانه فنتخذه أنموذجا، ونترسمه منهجا، أسميته: **"المنهج الأصيل في تدبر القرآن الكريم"**.

ومن الله وحده أستلهم الرشد، وأستجدي العطاء، وأرتقب التوفيق، وأستوثق التسديد، إنه نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد:

من رحمة الله ـ عزّ وجلّ ـ بعباده أن جعل لهم القرآن نورا مبينا، وشفاءً نافعا، وعصمةً لمن اعتصم به، ونجاةً لمن تمسك به، وغنىً لمن استغنى به، وحرزًا من النار لمن اتبعه، ولا يكون كذلك حتى يلتزمه العبد ويصيرَ ديدنه، فيقرأَه بتخشع وتحقيق وتحدُّر، ويتفهم معانيه بتدبر وتفكُّر، "فلا

شيء أنفعُ للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامعٌ لجميع من ازلال سائرين، وأحوالِ العاملين، ومقاماتِ العارفين، وهو الذي يورِث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائرِ الأحوال التي بهاحياةُ القلب وكمالُه، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة والتي بها فسادُ القلب وهلاكُه"(4).

معنى المنهج:

"المنهج"**لغة**: من نهج الطريق ينهج نهجا إذا وضح وبان، ونهج لي الأمر أوضحه، ومنه المنهج والمنهاج أي الطريق الواضح، ومنه قوله تعالى:﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (5)، أي طريقا واضحا في الدين(6).

اصطلاحا: من المفهوم اللغوي يتبين لنا تعريف"المنهج" فنقول: هو مجموعة من القواعد والضوابط التعليمية التي تعين على تحصيل علم ما وجعله واضحا سهل المتناول.

معنى الأصيل:

الأصيل **لغة** من الأصل: وهو أساس الشيء ومرجعه، والأصيل: من له أصل أي نسب، أو المتمكن في أصله، يقال رجل أصيل الرأي أي: محكمه(7).

واصطلاحا: أي: ما ثبت عن السلف الصالح. وهم الأصل والأساس في الدين ـ فيما نحن بصدده.

معنى التدبر:

التدبُّر **لغة**: مأخوذ من مادة "د ب ر"، وهي آخر الشيء وخلفه، يقال: دبَّر الأمر وتدبَّره: نظر في عاقبته. واستدبره: رأى في عاقبته ما لم يَرَ في صدره. والتَّدبُّر في الأمر: التفكُّر فيه(8).

"وأصل التدبر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه"(9).

أما التدبر في معناه **الاصطلاحي**: فهو أن يقرأ القارئ كلام الله قراءة متأنية، سواء كان نظرا أو من محفوظه، يشدّ ذهنه مع كلام الله عزّ وجلّ، ويعمل على استخراج المعاني المكنونة، والإشارات المضمرة في شتى المجالات، فيستنبط الأحكام الشرعية، ويقعّد للضوابط النحوية واللغوية، ويستخرج القواعد التجويدية، وأنواع الإعجاز العلمي، والإعجاز العددي، ويستشفّ العبر من قصص الأنبياء والأمم الغابرة، وينظر للمسائل المختلفة في مجالات الدعوة إلى الله وغير ذلك.

يقول الإمام السعدي: "هو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه ولوازم ذلك. إن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم"[(10)].

ونقل القرطبي عن أبي بكر بن طاهر أنه قال: "تدبر في لطائف خطابه، وطالب نفسَك بالقيام بأحكامه، وقلبَك بفهم معانيه، وسرك بالإقبال عليه"[(11)].

أهمية التدبر في حياة المؤمن:

لا غنى للمؤمن الذي آمن بالله ورسله وكتبه عن القرآن الكريم، فهو روحه التي بها يحيا، وحبله الذي به يعتصم، والعروة الوثقى التي متى ما انفصمت عنه هوى في هوة الضياع، وتجاذبته السبل ففرّقته عن سبيل الله. لذا كان لتدبر كلام الله تعالى أهمية بالغة في حياة المؤمن الذي يتعاهد إيمانه، ويخشى أن تتقاذفه الأهواء، وتضل به الفتن.

وأهمية التدبر تكمن في:

ـ أن من تدبر كلام الله تعالى فقد قدر الله حق قدره، فسعى لتفهُّمه، واهتمّ بمراده، فلا يليق بعبد كائنا من كان أن يقرأ كتابا ولا يفقه معانيه، وإذا استفتحه فلا يزال شارد الذهن تتقلب به الأفكار والوساوس حتى يطبق دفتيه، فإذا كان هذا حال من قرأ كتب الناس، فما ظنكم بكتاب الله عزّ وجلّ.

قال سلم بن ميمون الخواص: "قلتُ لنفسي: يا نفسُ، اقرئي القرآن كأنّكِ سمعتيه من الله حين تكلَّمبه، فجاءت الحلاوة"[12].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: "إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، **وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله**، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[13].

ـ أن المتدبر يحصل على معرفة مستفيضة للخير والشر، والحق والباطل، والهداية والضلال، فلا يزال يستخلص العبر، ويستفيد من دروس القرآن وقصصه الشيء الكثير والجم الغفير، يقول ابن القيم رحمه الله عن أسباب سعادة وفلاح العبد: "أن يعرف تفاصيل أسباب الشر والخير ويكون له بصيرة في ذلك بما شهده في العالم وما جرّبه في نفسه وغيره وما سمعه من أخبار الأمم قديما وحديثا، ومن أنفع ما في ذلك تدبر القرآن فإنه كفيل بذلك على أكمل الوجوه وفيه أسباب الخير والشر جميعا مفصلة مبينة"[14].

ـ أن التدبر يفضي بالعبد إلى الاهتمام بشرائع الدين، وتعاليم الإسلام التي قضاها الله سبحانه في كتابه، يقول عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: "إذا سمعت الله عزّ وجلّ ليقول في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فأصغ لها سمعَك، فإنه خيرٌ تؤمرُ به، أو شرٌّ تصرفُ عنه"[15].

ـ أن التدبر يجعل العبد المؤمن وقّاد الذهن، وثّاب العزيمة، يجري وراء الكنوز متى حلت، ويقتنص الأوابد متى حلّقت، ويلتمس الفرص متى سنحت، استجابة لقول الله تعالى مخاطبا ذوي العقول والألباب: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[16]، وذلك "لما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة"[17]، يقول الإمام السعدي: "ليتدبّر الناس آياته، فيستخرجوا علمَها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمّل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال"[18].

ـ أن التدبر يحفظ على المؤمن إيمانه، فلا يزال يتعرض لنفحات الله القدسية، وأنوار سرّه العلية، كلما غاص في كلام الله بحثا عن هداية، أو استخراجا لحكم، أو انتفاعا بعبرة، يقول المولى سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[19].

ـ أن المتدبر لكلام الله سبحانه يحصل لا محالة على ميزات القرآن الكريم التي ذكرها الله في الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾[20] فينتفع بمواعظ القرآن التي يتبيّن بها الحق من الباطل، ويصقل القلب من رين المعاصي والذنوب، فيدبّ الشفاء إلى الصدور، وتتحقق الهداية، وتتنزل الرحمة.

ـ أن المتدبر لكلام الله تعالى يحوز على بركته التي أودعه الله إياها، وهي بمعناها الواسع خيري الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾[21]، يقول الإمام الآجري: "من تلا القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم فإنه يربحه الربح الذي لا بعده ربح، ويعرّفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة ... ثم إن الله عزّ وجلّ وعد لمن استمع إلى كلامه فأحسن الأدب عند استماعه بالاعتبار الجميل، ولزوم الواجب لا تباعه والعمل به، بشره منه بكل خير، ووعده على ذلك أفضل الثواب، فقال عزّ وجلّ: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[22]".

ـ أن تدبّر كلام الله تعالى يدفع بالعبد إلى الإبداع في ميدان رحْب فسيح، فكما أن كلام الله تعالى صالحٌ لكلِّ زمان ومكان، ونافعٌ لكل أمةٍ وحضارة، فإن العبد يجعل من التدبر آلة يجسّد بها معجزة القرآن الخالدة، ويحقق بها شموليته ومرونته، ويظهر إعجازه في كل المجالات والميادين.

المبحث الأول: استمداد التدبر من السلف الصالح

لما كان التدبر بتلك الأهمية البالغة، والمقام الجليل، لجأ سلفنا الصالح إليه، واحتموا بحماه، يُنيرون دربهم بهداه، ويستفيدون من عطاءاته وَجَداه[23]، وعلى رأسهم سيد الهداة ـ صلى الله

عليه وسلم ـ، الذي أخذ القرآن غضا طريا عن أمين الوحي جبريل ـ عليه السلام ـ، وتكفل الله سبحانه بحفظه له في صدره، وشرحِه وبيانِه له، حتى يبلّغه إلى أمته كما أُنزل، فأمره الله سبحانه وتعالى حال إنزاله أن يستمع وينصت، فقال سبحانه مرشدا: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[24]، "فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم ـ كما قرأه"[25].

وقد بيّن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عِظم تأثير القرآن الكريم على نفوس مريديه، وتميّزه عن سائر المعجزات التي أوتيها الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قبله، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال: قالا لنبي صلى الله عليه وسلم: "ما من الأنبياء نبيّ إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيتو حيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرُهم تابعا يوم القيامة"[26].

قال ابن حجر في شرح الحديث: "وقيل المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى، **ومعجزة القرآن تشاهَد بالبصيرة** فيكون من يتبعه لأجلها أكثر، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باقي شاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا"[27].

المطلب الأول: صور من تدبر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ للقرآن الكريم:

ثبت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يتأثر بالقرآن الكريم قراءة وسماعا، وكانت بعض الآيات تحدِث في نفسه وقعا عظيما، إذ كان يُعمِل فكره فيها، ويتمعّن في معانيها، فيتأثر بذلك تأثرا بالغا يصل به إلى حد الإجهاش بالبكاء ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وسنورد ما ورد في السنة النبوية من ذلك:

الصورة الأولى:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله قد شبت!. قال: "شيّبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتسآءلون، وإذا الشّمس كوّرت"[28].

وإنما أراد بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: شيّبتني، ما تبين له من معاني تلك السور فأحدث له فزعا وخوفا أدّيا إلى شيبه.

يقول المناوي في فيض القدير: "(شيّبتني هود) وأشباهها من السور التي فيها ذكر أهوال القيامة والعذاب. والهموم والأحزان إذا تقاحمت على الإنسان أسرع إليه الشيب في غير أوان، قال المتنبي:

وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمِ

قال الزمخشري: مرّ بي في بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب، وأصبح أبيض الرأس واللحية كالثغامة، فقال: أُريتُ القيامة والناس يقتادون بسلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحتُ كما ترون"[29].

الصورة الثانية:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها سألت: أخبرينا بأعجب شيء رأيتِه من رسول الله صلى الله عليه وسلمـ، فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: "يا عائشة ذَريني أتعبّد الليلة لربي"، قلت: والله إني لأُحبُّ قربك وأُحبّ ما سَرَّك. قالت: فقام فتطهّر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، فجاء بلال يؤْذِنُه بالصلاة فلما رآه يبكي قال: يا رسولا لله! لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟، قال: "أفلا أكون عبدا شكورا؟!، لقد نزلت عليّ الليلة آية، ويلٌل من قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[30] الآية كلها"[31].

ويظهر من هذا الأثر شدة تأثر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو سيد الشاكرين المقرَّبين بكلام الله تعالى، فقد قرر بعبارة ملؤها التقريع والتبكيت، وغايتها التخويف والتهديد، أن من مرت عليه هذه الآيات ولم يتدبر فيها، أو لم تحدث فيه تأثرا ورقّة أنه على خطر وبيل.

قال القرطبي: "قال العلماء: يستحب لمن انتبه من نومه أن يمسح على وجهه، ويستفتح قيامه بقراءة هذه العشر الآيات اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ـ، ثم يصلي ما كتب له، فيجمع بين التفكر والعمل، وهو أفضل العمل"[32].

الصورة الثالثة:

عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: "قام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بآية حتى أصبح يرددها. والآية: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[33].

يدل هذا الأثر على شدة حرص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على فهم كلام الله سبحانه والتأثر به، فالتكرار يهدي إلى عميق الفكرة، وعظيم المنفعة. ويستخلص من هذا أن التدبر لا يستدرُّ من كثرة القراءة، وإنما العبرة فيما ينتفع به الإنسان من قراءته، وما يستفيده من تلاوته.

أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاث. قال: "لأن أقرأ سورة من القرآن في ليلة فأتدبّرها وأرتّلها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كما تقرأ"[34].

قال محمد بن كعب القرظي: "لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ: إذا زلزلت، والقارعة، لا أزيد عليهما، وأتردد فيهم اوأتفكر، أحب إليّ من أن أهذّ القرآن ليلتي هذًّا، أو قال: أنثره نثرا"[35].

وقد بيّن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبب تكريره لهذه الآية بعدما سأله أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ عن ذلك فقال: "إني سألت ربي عزّ وجلّ الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة إنشاء الله لمن لا يشرك بالله عزّ وجلّ شيئا"[36].

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: "فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذ اقرأه بتفكر حتى مرّ بآية هو محتاجٌ إليها في شفاء قلبه كرّرها ولو مائة مرة، ولو ليلة.فقراءةُ آية بتفكُّر وتفهُّم خير من قراءة ختمة بغي ودبر وتفهُّم، وأنفعُ للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوقِ حلاوة القرآن.وهذه كانت عادة السلف، يردّد أحدُهم الآية إلى الصباح"[37].

قال ابن مسعود: "لا تنثروه نثر الدقل، ولا تهذّوه هذَّ الشعر، قِفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، لا يكن همُّ أحدِكم آخر السورة"[38].

الصورة الرابعة:

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ـ: "اقرأ عليَّ"، قلت: آقرأُ عليك وعليك أنزل؟!، قال: "فإني أُحبُّ أن أسمعَه من غيري". فقرأتُ عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾[39].

قال القرطبي: "قال علماؤنا: بكاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر، إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب، ويؤتى به ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم القيامة شهيدا"[40].

فقد حلّق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في معاني هذه الآية، وتأملَ في مدلول كلمة "كيف" ما أثار فيه من لمسات بيانية تهيّج الوجدان، وتُحدث في القلب معاني عظيمة، "وساعة تسمع كلمة{كيف}فاعرف أن هناك شيئا عجيبا، تقول مثلاً: أن تسبَبْتَ السلطان فكيف إذا واجهك ووجدته أمامك ماذا تفعل؟، كأن مواجهة السلطان ذاتها مسألة فوق التصور، ومثال ذلك قوله الحق: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[41].

الصورة الخامسة:

عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلا، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّبتعوُّذ تعوَّذ"[42].

وهذا الحديث يعلّم فيه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صحابته الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ كيف يتعاملون مع القرآن الكريم روحا ومعنى، حتى ولو كانوا منغمسين في الصلاة، فقراءته

بالترسل ـ وهي القراءة البطيئة من غير عجل ـ تعين على الاعتناء باللفظ والاهتمام بالمعنى. والتسبيح في آيات التسبيح، والدعاء في آيات الترغيب والرجاء، وكذا التعوّذ في آيات الترهيب والتهديد، تدل على اعتناء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تعامله مع كلام الله عزّ وجلّ حتى يحصل على التأثر المنشود داخل الصلاة وخارجها.

يقول الإمام النووي: "فيه استحب بهذه الأمور ـ يعني: الترسل والتسبيح والدعاء والتعوذ ـ لكل قارئ في الصلاة وغيرها"(43).

المطلب الثاني: **صور من تدبر الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ**:

كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بحق مثالا ربانيا للتأسي، وأنموذجا نبويا للاقتداء، فقد عاشوا بالقرآن، ونالوا بركتَه، وحازوا شرفَه، وسعوا إلى تحصيله علما وعملا، فكانوا كما قال فيهم عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: "لقد عشت برهة من دهري وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن نقف عنده منها كما تعلّمون أنتم القرآن، ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدري ما آمرُه ولا زاجرُه وما ينبغي أن يقف عنده منه وينثره نثر الدقل"(44).

وقد صح عن أبي عبد الرحمن السلمي ـ رحمه الله ـ أنه قال: "حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهم كانوا يأخذون من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قال: فتعلمنا العلم والعمل"(45).

وصح عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"(46).

"ففي هذا أن الحفظ عندهم كان مقترنا بالعلم بالمحفوظ وامتثال ما فيه من الأمر والنهي والاعتبار وغير ذلك فكانوا لذلك يأخذونه عشر آيات عشر آيات ليكون أيسر عليهم. فلم

يكن همُّهم كثرةُ الحفظ كما صار إليه حالُ من بعدَهم، وإنما علموا أن هذا القرآن إنما أنزل للعمل ولا عملَ دون علم وفهم. وكانوا لا يُقدِمون على أخذ القرآن حتى تستعدَّ له نفوسهم بالإيمان والتصديق وتتهيأ للامتثال فنفعهم الله بذلك ورفع أقدارهم"(47).

وكانوا ـ رضي الله عنهم ـ يتأثرون بكلام الله، وترقّ قلوبُهم عند قراءته أو سماعه، فتفيض أعينهم من الدمع مما عرفوا من كتاب الله، وصَفتْهم أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ فقالت: "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرئ عليهم القرآن كمانعتهم الله: تدمع أعينُهم وتقشعرُّ جلودُهم"(48).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: أنزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾(49) وأبو بكر الصديق قاعد فبكى، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ما يبكيك يا أبا بكر؟، فقال: أبكتني هذه السورة يا رسول الله. فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم"(50).

وفي وصف عائشة ـ رضي الله عنها ـ لأبيها ـ رضي الله عنه ـ: "وكان أبو بكر رجل ابكّاء لا يملك دمعه حيني قرأ القرآن"(51).

ولما أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مرضه الذي مات فيه أن يستخلفوا أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ للصلاة، قالت له عائشة ـ رضي الله عنها ـ: "إن أبا بكر رجل أسيف إن يقم مقامك يبكي فلا يقدر على القراءة"(52).

وأثر عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه كان رقيق القلب إذا سمع كلام الله عزّ وجلّ أو إذا تلاه، مع ما عرف به من رباطة الجأش، وصلابة الرأي، فقد أورد ابن كثير في تفسيره نقلا عن الحافظ ابن أبي الدنيا بسنده قال: خرج عمر يَعِسّ المدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائما يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾(53) قال: قسمٌ– ورب الكعبة–حقٌّ. فنزل عن حماره واستند

إلى حائط، فمكث مليا، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه ـ رضي الله عنه ـ"[54].

وعن عبيد بن عمير قال: "صلى بنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة الفجر فافتتح سورة يوسف فقرأها حتى إذا بلغ: (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)، بكى حتى انقطع فركع"[55].

وعن ابن أبي مليكة قال: صحبتُ ابنَ عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلي ركعتين، فإذا نزل قام شطرَ الليل، ويرتل القرآن حرفا حرفا، ويُكثر في ذلك من النشيج والنحيب[56].

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير أن أباه قرأ بحضرة عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ فتلا قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾[57]، فجعل ابن عمر يبكي حتى ثقلت لحيته وجيبه من دموعه، فأراد رجل أن يقول لأبي: أقصِر، فقد آذيتَ الشيخ"[58].

وفي ترجمة سهيل بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ: وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن[59].

ودخل رجل على الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ قبل مقتله فقال: "فإذا شيخٌ يقرأ القرآن، والدموعُ تسيل على خديه"[60].

فكانوا ـ رضي الله عنهم ـ كما وصفهم ربهم سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[61].

وما كثرة بكائهم ـ رضي الله عنهم ـ عند تلاوة القرآن أو سماعه إلا لحسن فهمهم له، وتأثرهم بمعانيه، فهم كانوا يقصدون في تلاوتهم تدبّر كلام الله واستحداث الرهبة والخشية والخوف المفضية إلى حسن العمل، لذلك ثبت عنهم الإقلال في حفظ القرآن ليس زهدا فيه وإنما طلبا لما هو آكد وأفيَد، يقول عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: "إنّا صَعُب علينا حفظُ ألفاظِ القرآن، وسهُل علينا العملُ به، وإن مَنْ بعدَنا يسهُل عليهم حفظُ القرآن ويصعُب عليهم العمل به"[62].

وورد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: "قدم على عمرَ رجلٌ، فجعل عمرُ يسأل عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين!، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقلت: والله ما أُحبُّ أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة. قال: فزبرني عمر، ثم قال: مه!، فانطلقت لمنزلي حزيناً، فجاءني فقال: ما الذي كرهتَ مما قال الرجل آنفاً؟، قلت: متى ما يسارعوا هذه المسارعة يحتقُّوا – أي: يقول كل واحد منهم: الحق في يدي –، ومتى ما يحتقُّوا يختصموا، ومتى ما اختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا، فقال عمر: لله أبوك! لقد كنت أكتمُها الناسَ حتى جئتَ بها"(63). وإنما الذي خشيه عمر وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ هو أن يقبل الناس على حفظ القرآن من غير فهم ولا عمل، فإن ذلك مؤدٍّ إلى الاختلاف المذموم في فهم القرآن ومقاصده، ومن ثمت تحدث الفتن، ولقد وقع ما خشيه الصحابيان الجليلان ـ رضي الله عنهما ـ في فترة وجيزة، فخرجت الخوارج الذين وصفهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: "سيَخرجُ في آخر الزمان قومٌ أحداثُ الأسنان، سفهاءُ الأحلام، يقول ونمن خيرِ قولِ البريّة، يقرؤون القرآنَ لا يجاوزحنا جرَهم، يمرُقون من الدين كما يمر قال سهم من الرمية"(64).

قال الإمام الترمذي: "وقد رُوي في غير هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث وصفه ؤلاء القوم الذين يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمر قال سهم من الرمية، إنما هم الخوراج والحرورية وغيرهم من الخوارج"(65).

لذلك قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: "إن أقواما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع"(66).

وقد عاتب الله سبحانه المؤمنين في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدم التخشّع عند ذكر الله وتلاوة القرآن، وحذّرهم أن يكونوا كأهل الكتاب من قبلهم فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(67).

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: "إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن، فقال: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ... ﴾ الآية [68].

وكان ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ إذا قرأ: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ... ﴾ الآية بكى حتى يغلبه البكاء"[69].

يقول الإمام القرطبي: "فكانت حالُهم عند المواعظ الفهمَ عن الله، والبكاءَ خوفا من الله. ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾[70]. فهذا وصفُ حالهم، وحكايةُ مقالهم. ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم، فمن كان مستنًّا فليستنّ"[71].

المطلب الثالث: صور من تدبر السلف من التابعين للقرآن الكريم:

ترك الصحابة إرث القرآن الكريم لمن بعدهم من التابعين الذين برز منهم في كل قطر علماءُ أَكْفاء، وعبادُ أوفياء، وزهاد أتقياء، حملوا مشعل الهداية، وضربوا أروع المثل في فهم كلام الله عزّ وجلّ والتعايش بروحه، وكانوا يعدُّون من تعلّم القرآن فقيها عالما، يقول الضحاك بن مزاحم ـ رحمه الله ـ: "حقٌّ على كلِّ من تعلَّم القرآن أن يكون فقيها"[72].

وكانوا ـ رحمهم الله ـ يسعون لأن ينتفعوا من روح القرآن، وينعموا بهداه، ويستطيبوا جناه، فهذا مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ ينادي في أهل القرآن فيقول: "ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟، إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض"[73].

وكان قتادة ـ رحمه الله يقول: " لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ ﴾[74].

لذلك عرفوا ـ رحمهم الله ـ بكثرة التأثر بكلام الله تعالى، والبكاء عند سماعه أو تلاوته، في الصلاة أو خارجها، متأسين بنبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته الكرام ـ رضوان الله عليهم أجمعين ..

قال رجل لابن المبارك: قرأت البارحة ا لقرآن في ركعة، فقال: "لكني أعرف رجلا لم يزل البارحة يكرّر: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ إلى الصبح، ما قدر أن يتجاوزها ـ يعني نفسه ـ"[75].

وصلى رجل وراء سفيان الثوري المغرب فقرأ الفاتحة، فلما بلغ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ بكى حتى قطع القراءة، ثم عاد فبكى حتى قطع القراءة، فلما صلى التفت فقال: "ما ينبغي لمثلي أن يتقدم"[76].

وقال هشام بن حسان: "انطلقتُ أنا ومالكُ بنُ دينار إلى الحسن ـ يعني البصري ـ وعنده رجل يقرأ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ فبكى الحسنُ وبكى أصحابُه"[77].

وقال إبراهيم بنُ الأشعث: "ما رأيتُ أحدا كان الله في صدره أعظمَ من الفضيل، كان إذا ذَكر الله أو ذُكر عنده، أو سمع القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمُه من يحضرُه"[78].

ولقد كان أحدهم يهاب أن يقرأ القرآن مما يجده من الرهبة والخوف، قال يوسفُ بنُ أسباط: "إني لأهمُّ بقراءة القرآن، فإذا ذكرتُ ما فيه خشيتُ المقتَ، فأعدِل إلى التسبيح"[79].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يصف القوم: "وهذا كان سماعُ سلف الأمة وأكابرِ مشايخها وأئمتِها، كالصحابة والتابعين ومن بعدَهم منا لمشايخ كإبراهيم بنِ أدهم، والفضيلِ بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، ويوسف بن أسباط، وحذيفة المرعشي، وأمثال هؤلاء".

وكان عمرُ بنُ الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنهما ـ: "يا أبا موسى ذكِّرْنا ربَّنا". فيقرأ وهم يسمعون ويبكون.

وكان أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- إذا اجتمعوا أمَرو او احدا منهم أن يقرأ القرآن والباقي يستمعون"[80].

المطلب الرابع: تنوع المدارس التفسيرية معلم من معالم التدبر

اهتم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بسؤال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما يلتبس عليهم من مقاصد القرآن الكريم ومعانيه، فكانوا يجعلون نصب أعينهم فهمَ كتاب الله والعملَ به على نسق ما ينزل تباعا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

يقول الإمام الزركشي: "إن القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصحِ العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامَه، أما دقائقُ باطنِه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر من سؤالهم النبيَّ صلّى اللَّه عليه وسلّم ـ في الأكثر".

من ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[81] شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم. فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إنه ليس بذاك، ألا تسمعون إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[82].

قال الزركشي ـ رحمه الله ـ: "ولم يُنقل إلينا عنهم تفسيرُ القرآن وتأويلُه بجملته، فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادةً على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلّم، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير"[83].

لذلك اتسعت مدارك التذوق للقرآن الكريم، وتمددت آفاق الفهم فيه، واشتدت عوامل التفطن والانتباه لأسراره ومكنوناته والدقة في استخدام الحروف والكلمات، وظهرت منازع في فهم أغراضه والمقاصد التي يستهدفها، فغدا القرآن الكريم مفتاح المختلف منابع الفكر والمعرفة، ومضمارا تسابق العلماء في بذل جهودهم واعتصار أفكارهم لنيل مراده، وتنزيله على ما يوافقه من واقع الناس.

فتأسست علوم تعنى بدراسة القرآن الكريم في مجالاته المختلفة، ونشأت اتجاهات للتفسير تعددت من خلالها معالم النظر، وجوانب التأمل لفهم كتاب الله العزيز، والاستفادة من معارفه وعلومه. وكلٌّ ينطلق من قول الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [84]، وقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧ ﴾ [85].

ومن ثمرات هذا التنوع والاختلاف في فهم القرآن وتفسيره أن أن تحل لأمة الإسلامية تراثا معرفيا زاخرا، ميّزها وميّز حضارتها عبر عصور متواصلة إلى يوم الناس هذا: فمن ملتزم لمنهج النقل والأثر كالإمام الطبري وابن كثير وغيرهما، إلى منتهج سبيل الرأي والاستنباط كالرازي والبيضاوي وغيرهما، إلى غوّاص في أسرار اللغة وعلومها كالزمخشري وابن عطية وأبي حيان، إلى مهتم بالمعاني الموضوعية العامة وهدايات الآيات كالأستاذين محمد رشيد رضا وسيد قطب، وغير هؤلاء كثيرون يضيق المقام بذكرهم واستعراض مناهجهم، وإنما أردنا من هذا بيان أن أهم سبب لهذا التنوع هو السعي حثيثا إلى تدبّر كلام الله تعالى.

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: "وإنما يذم الكلام فيه ـ أي في القرآن ـ بالرأي إذا لم يستند الرأي إلى أصل صحيح، فأما ما يفهم من الآيات فلا يناقض تفسير الألفاظ، وإنما يدرك كل شخص منه بقدر قوة فهمه وصفاء قلبه"[86].

المبحث الثاني: المنهج الأصيل لتدبر القرآن الكريم

لما كان التدبر بتلك المكانة، متبوِّءًا في قلوب السلف الصالح ذلك المنزل، كان حريا بكل مؤمن يؤمن بكتاب الله سبحانه، وأنه رحمة مهداة، ومنة مسداة، أن يسعى فيما سعوا ـ رحمهم الله ـ بصرف أوقاتهم، وبذل أعمارهم في خدمة كتاب الله، وفهمه على مراد الله، والعمل به ابتغاء مرضاة الله، عسى الله سبحانه أن يتداركنا بنعمة منه.

فأردتُّني هذا المبحث ـ على نمط ما مر ـ أن أرسم منهجا أقتفي به أثر السابقين في تدبر كتاب الله العزيز، وأحدّد الوسائل التي لا غنًى للمتدبر عنها، حتى يهنأ ـ بإذن الله تعالى ـ بثمرة الاهتداء، ويستطيب بظل الرحمة الوارف، والله الموفق لما فيه الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

المطلب الأول: **العلم بأحكام تلاوته وترتيله**:

لما شرّف الله سبحانه نبيّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقرآن كان من أوائل ما أمره به أن يقرأه بصفة خاصة، وطريقة مميزة فقال سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [87]، والترتيل: "مصدر من رتّل فلان كلامَه: إذا أتبعَ بعضَه بعضاً على مُكثٍ وتفهُّم من غير عجلة"[88].

قال الإمام ابن الجزري: "وقد أمر الله تعالى به نبيَّه– صلى الله عليه وسلم– فقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ ، قال ابنُ عباس: بيّنه، وقال مجاهد: تأنَّفيه، وقال الضحاك: انبِذْه حرفاً حرفاً. يقول تعالى: تلبَّث في قراءته وتمهل فيها، وافصِل الحرف من الحرف الذي بعدَه. ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل حتى أكّده بالمصدر اهتماماً به وتعظيماً له، **ليكون ذلك عوناً على تدبّر القرآن وتفهّمه**"[89].

قال الإمام النووي: "والترتيل مستحب للتدبر، لأنه أقرب إلى التوقير والاحترام، وأشد تأثيرا في القلب"[90].

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعالج شدة في التلقي، ويجد صعوبة في الحفظ، و"كأنه كان يعجّل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا، كما ترى بعض الحرّاص على العلم"[91]، فأرشده الله عزّ وجلّ مترفّقا به فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [92]، "فكان رسول اللهـ صلى الله عليه وسلمـ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قرأه"[93].

قال الإمام العيني في شرح الحديث: "ثم علّل النهي عن العجلة بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ في صدرك وإثبات قراءته في لسانك"، مع أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان عربيا من صميم العرب، فدلّ ذلك أن إثبات قراءته في لسانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إثباتُ أداء وتلقٍّ لطريقة مميَّزة.

فمعنى قوله: "قرأه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قرأه": قرأه بالطريقة التي أقرأه بها جبريل ـ عليه السلام ـ عن رب العزة ـ جل جلاله ـ، فكان أداءً فريدا اختص الله به كلامه كما اختصه بسائر ألوان الإعجاز.

فعلى طالب العلم، ومريد الفهم، أن يسعى في بداية الطلب في تلقي القرآن وفق هذا الأداء المنقول عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذي تضمنه علم التجويد، فيروّض لسانه على حسن التلفظ به، فهو "حليةُ التلاوة، وزينةُ القراءة، وهو إعطاءُ الحروف حقوقَها، وترتيبُها مراتبَها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقُه بنظيره، وتصحيحُ لفظه وتلطيفُ النطق به، على حال صيغته وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسّف، ولا إفراط ولا تكلّف»[94].

فإذا تفنّن العبد في التلاوة وأتقنها فإنها ستكون عونا له على التدبر، وإذا أحضر قلبه حال تلاوته فحريّ أن تدبّ الخشية إليه، فيحصل التأثر المنشود.

وقد ثبت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرشد أصحابه إلى أن يقرؤوا على نمط قراءة عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "من أحبَّ أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابنِ أمِّ عبد"[95]، وما ذلك إلا لحسن ترتيله وأدائه، قال ابن الجوزي: "أي ليرتِّل كترتيله"[96]، فقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "غضًّا كما أنزل"، شهادة منه لابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ على الإتقان في الأداء وأنه قرأ كما قرأ جبريل ـ عليه السلام ـ.

إلا أنه ينبغي أن يُعلم أن هذه مرحلة يجتازها مريد الفهم لكتاب الله، ولا يجوز أن يفني عمره في محاسبة نفسه في تدقيق اللفظ، وتحقيق الحرف، فهذا سيشغله عن المراد، وينأى به عن الغاية، قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في ذكر موانع الفهم لكلام الله ـ عزّ وجلّ ـ: "أن يخيِّل الشيطان للتالي أنه ما حقَّق تلاوة الحرف، ولا أخرجه من مخرجه، فيكرِّره التالي، فينصرف الهمّ إلى ذلك عن فهم المعنى"[97].

المطلب الثاني: العلم بلغته التي أنزل بها

اقتضت حكمة الله سبحانه أن ينزّل كتابه بلسان عربي مبين فقال عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[98]، وارتضاه للثقلين إلى يوم القيامة بهذه اللغة الخالدة العظيمة، فكان "اللسانُ العربيُّ شعارَ الإسلام وأهلِه"[99]، وكان المريد لفهم كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ والمتدبرُ فيه لا يصل إلى بغيته إلا بفهم كلام العرب، وأساليبهم وطرائقهم في الكلام.

ولقد عاصر القرآن في نزوله الأول قوما عربا خلّصا، تكلموا بطبيعتهم، وفهموا القرآن بمحض سليقتهم، وكانت لهم وقفات مع بعض الآيات القرآنية التي دقت معانيها، وخفيت مراميها فكانوا يسألون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنها فيجلّيها لهم. لذلك قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: "التفسير أربعة أوجه: وجهٌ تعرِفه العرب من كلامها، وتفسيرٌ لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسيرٌ تعلمه العلماء، وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله تعالى"(100).

فلما توسعت رقعة البلاد الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجا، احتيج إلى وضع أسس وقواعد لفهم كلام العرب، حتى يفهم كلام الله على مراده. فكان لزاما على كل من أراد أن يفهم كلام الله تعالى بعد الصحابة والتابعين أن يتعلم اللسان العربي بأصوله وقواعده.

يقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: "فعلى كلّ مسلم أن يتعلّمَ من لسان العرب ما بلغه جَهْدَه، حتى يشهدَ به أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبدُه ورسوله، ويتلوَ به كتابَ الله، وينطقَ بالذكر فيما افتُرِض عليه من التكبير، وأُمرَ به من التسبيح والتشهُّد وغيرِ ذلك. وما ازداد من العلم باللسانِ الذي جعله الله لسانَ من خَتَم به نبوَّتَه، وأنزل به آخرَ كتبِه كان خيرًا له"(101).

لذلك كثر نكير العلماء على من يتصدى لتفسير كلام الله تعالى وليس له حظ من فهم اللغة، فقد روى البيهقي في الشعب عن مالك قال: "لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسّر كتاب الله إلا جعلْتُه نكالا"(102).

ويقول شيخ الإسلام بن تيمية: "فنحن مأمور ونأمرَ إيجاب أو أمرَ استحباب أن نحفظَ القانون العربيّ؛ ونُصلح الألسنَ المائلةَ عنه؛ فيَحفظَ لنا طريقةَ فهم الكتاب والسنة؛ والاقتداء بالعرب في خطابها"(103).

وأول النوال من كلام العرب في كتاب الله تعالى: أن يعلم مريد الفهم له غريب ألفاظه، فيجعل لنفسه معجما لفظيا من مفردات القرآن الكريم يحفظه ويستحضره كحفظه للقرآن الكريم، فالعلم بغريب القرآن بوابة التفسير، ومطية الفهم، وسبيل التدبر.

يقول الراغب الأصفهاني في مقدمة كتابه "مفردات غريب القرآن": "أول ما يحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن: العلومُ اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاوِن لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللَّبِن في كونه من أول المعاوِن في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدتُه، وواسطتُه وكرائمُه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"[104].

ثم عليه أن يعلم شيئا من النحو يمكّنه من فهم إعراب أواخر الكلم، وتقدير المضمرات، وتقديم ما حقه التقديم، وتأخير ما حقه التأخير.

ويلم بأصول الصرف والتصريف، فيعلم أبنية الكلام، وتصريف الأفعال، والمشتقات وغير ذلك مما هو مجموع مدوَّن في كتب النحو والصرف.

وعليه أن يكوّن لنفسه ذوقا لغويا، وملكة بلاغية يعرف بها مداخل أساليب العرب، وطرق بيانها، ومكنون معانيها، بكثرة النظر في كتب البلاغة والأدب والشعر وغير ذلك.

وعليه بعد ذلك أن يطالع كتب التفاسير التي تنوّع عرضها، وتعددت منازعُ مؤلفيها، فيستفيد من تجاربهم مع كتاب الله، وينال مما نالوه من الفتح والفيض الإلهي في التدبر والتفكر في كلام الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: العلم بعلوم تحيط به

نال كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ في قلوب المؤمنين منذ نزوله حظوةً بالغة، وتبوّأ مكانةً كبيرة، وما ذلك إلا لتكفل الله عزّ وجلّ بحفظه إذ قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[105] فهيّأ له جنودا من عباده يُعنون بحفظه، حرفا ورسما ومعنى، وأنشأوا له علوما تحيط به كلالةً، وتَحوطُه كلاءةً، تزيد في سياج حفظِه إحكاما، وتميط عنه للمريدين فهمَه غِطاءً ولثاما.

وهـذه العلـوم لا غـنى لطالـب العلـم عنهـا إن رام فهـم كـلام الله عـزّ وجـلّ، فبهـا يـدفع التعارض، ويزيل اللبس، ويستند في التفسير.

فمما ينبغي علمه من ذلك:

تاريخ جمع القرآن الكريم:

فيعلم عظيم منة الله تعالى على هذه الأمة بأن حفظ لها كتابها، وصان لها دستورها، بأن تطالُه أيدي المحرّفين، وتعبث به همم المفسدين، وسخّر لذلك رجالا مخلصين، بذلوا مهجهم في سبيله، وأفنوا أعمارهم في سبيل إعلاء كلمته حتى أتاهم اليقين، وكان رأسَهم خليفةُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبو بكر الصديق، وعمرُ بن الخطاب، وعثمانُ بن عفان ومن كان معهم من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، رضوان الله تعلى عنهم أجمعين.

قال الإمام الخطابي: "فلما انقضى نزولُه ـ أي القرآن ـ بوفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألهم الله الخلفاءَ الراشدين ذلك وفاءً بوعده الصادقِ بضمان حفظِه على هذه الأمة، فكان ابتداءُ ذلك على يد الصدّيق بمشورة عمر ـ رضي الله عنهما ـ"[106].

وكان ما قاموا به من حسن الجمع والترتيب لسور القرآن وآياته، وضمّ ذلك كله من صدور الرجال، والعسب واللخاف والأكتاف ووسائل الكتابة التي كانت متوفرة حينذاك، مع مراعاة نزول القرآن بالأحرف السبعة، ورسمه بتلك الطريقة الفريدة العجيبة التي حفظت له قراءاته، أقول: إن هذا العمل العظيم لهو الشرف العظيم المؤثَّل الذي به علوا على غيرهم، وأثبتوا أسمائهم في سجلّ الخالدين.

نقل الزركشي عن ابن فارس قوله: "جمع القرآن على ضربين، أحدهما: تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين، فهذا الضر به والذي تولّاه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، وأما الجمع الآخر فضم الآية بعضها إلى بعض وتعقيب القصة بالقصة، فذلك شيء تولّاه رسول الله ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ كما أخبر به جبريل"[107].

أسباب النزول:

كان من فضل الله عزّ وجلّ على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن أنزل عليه القرآن منجّما مفرّقا على الحوادث والنوازل فقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾[108].

قال القرطبي: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ ﴾ أي: لنقوّيَ به قلبَك فتعيَ هو تحملَه، لأن الكتب المتقدمة أنزل تعلى أنبياء يكتبون ويقرؤون، والقرآن أُنزل على نبيٍّ أميّ، ولأن من القرآن الناسخو المنسوخ، ومن هما هو جوابل من سألعن أمور، ففرّقن اهل يكون أوعى للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأيسرَ على العاملبه"[109].

ومعرفة أسباب النزول تعين مريد الفهم لكلام الله تعالى على تدبره، فبها يعايش القارئ التنزيل، و"بها تدرك حكم التشريع ومعرفة مقاصد الشريعة، وأن القرآن لم ينزل لتلتمس بتلاوته البركة فقط ـ وإن كان فيه أعظم البركات ـ، وإنما نزل قانونا للحياة تضبط به العبادات والمعاملات للفرد والمجتمع"[110].

يقول شيخ الإسلام بن تيمية: "ومعرفة سببِ النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورِث العلم بالمسبَّب"[111].

الناسخ والمنسوخ:

هو علم ضروري، ومن أهم علوم القرآن، ولا يجوز لمن يتصدى لتفسير كلام الله الجهلُ به، واعتبر العلماء هذا العلم من أخطر علوم القرآن، لأنه لا يمكن تفسير القرآن إلا بعد معرفة علم الناسخ والمنسوخ، وهو العلم الذي يبيّن مراحل نزول التشريع وتدرّجه، ويوضّح منهج التشريع في إقرار الأحكام، وحكمته في خطاب المكلَّفين.

قال الإمام الزركشي: "والعلم به عظيم الشأن وقد صنف في جماعة كثيرون"، ثم قال: "قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسّر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ، وقد قال عليُّ بنُ أبي طالب لقاصٍّ: أتعرِف الناسخ والمنسوخ؟، قال: الله أعلم، قال: هلكْتَ وأهلكتَ"[112].

قصص القرآن وأمثال القرآن:

لأخذ العبرة وتمكين الخوف والهيبة، ومعرفة قدر الله عزّ وجلّ، واستلهام الحكمة والخبرة وغير ذلك، فقصص القرآن الكريم هي أصدق القيل: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [113]، وأحسن الحديث: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ [114]، جعلها الله سبحانه عبرة لأولي الألباب: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [115]، وما ذلك إلا لاحتوائها على عظيم الحكم، وجليل العبر. وإسنادُ الله سبحانه وتعالى العبرة﴿ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: العقول دعوة لهم لأن يتفكروا في هذه القصص التي أكثر الله من ذكرها في القرآن الكريم عرضا لدعوة الأنبياء السابقين، وتكذيب أممهم لهم، وتثبيتا وتسلية للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وترغيبا للمؤمنين بالثبات على الإيمان، وتحذيرا للكافرين من المضي في الكفر.

ولا تتم العظة بالقصص القرآني حتى يفتح لها المريد قلبه، ويتعرض لنفحتها، يقول ابن القيم في هذا الصدد: "فمعرفةُ هذه الأيام توجبُ للعبد استبصارَ العبر، وبحسبم عرفته بها تكون عبرتُه وعظتُه، قال الله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [116]، ولايتمُّ ذلك إلا بالسلامة من الأغراض، وهي متابعةُ الهوى، والانقيادُ لداعي النفس الأمارةِ بالسوء"[117].

آيات الأحكام:

وهذا النوع من أهم الأنواع التي على طالب القرآن أن يُعنى به، فالقرآن كما جاء بتثبيت العقائد الصحيحة وتنقية العقول من عقائد الشرك والباطل، جاء بتشريع الأحكام، ووضع أسس الحلال والحرام، وتنظيم التعامل بين الناس، وتأسيس النظام المحكم لمنظور الدولة الفاضلة المنشودة.

وهي الآيات التي تُعنى ببيان الأحكام الشرعية والدلالة عليها – سواء كانت الأحكام اعتقادية، أو عملية فرعية، أو سلوكية وأخلاقية –، إلاّ أن العلماء تعارفوا على إطلاق أحكام القُرْآن على أحكام القرآن العملية الفرعية المعروفة بالفقهية.

وقد اختلف العلماء في تعدادها، والصحيح أن تقديرها بعدد معيّن غيرُ معتبر، وأن مقدار أدلة الأحكام في ذلك غير منحصر؛ يقول الإمام الطوفي: "فإن أحكام الشرع كما تُستنبط من الأوامر، والنواهي؛ كذلك تُستنبط من الأقاصيص، والمواعظ، ونحوها، فقلَّ آية في القُرْآن الكريم، إلاّ ويُستنبط منها شيء من الأحكام"(118). وقال الإمام القرافي: "فلا تكاد تجد آية إلاّ وفيها حكمٌ، وحصرُها في خمسمائة آية بعيدٌ"(119).

لذلك كانت مراجعة التفاسير التي عنيت بأحكام القرآن كأحكام القرآن للجصاص، وابن العربي المالكي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، معينا لطالب الفهم للقرآن الكريم ومكونا له ملكة النظر وحسن التأمل، وربط الآيات، وإلحاق الأحكام بعضها ببعض، مستعينا بما تكوّن لديه من حسنِ ذوقٍ باللغة العربية وأساليبِها.

المبحث الثالث: ما على المتدبر أن يتحلّى به ويتخلّى عنه

يعلم مما تقدم بجملته أن التدبر من أشرف ما يتقرب به العبد إلى ربه، وكلما سعى التالي لكتاب الله فهمَ كلام الله تعالى واستيعابَ خطابه، كلما كان ذلك أتقى لربه، وأعلقَ بجنابه، يقول سبحانه: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾(120)، وقد فسّر العلماء الشعائر بأوامر الله جملة بما فيها المناسك(121)، والقرآن ظرفُها الحامل، ووعاؤها الناقل، فكان تعظيمه تحقيقا للتقوى بكل معانيها.

لذلك كان على المريد فهم كلام الله سبحانه وتعالى أن يتخلى عن أمور ويتحلى بأمور باطنا كان ذلك أو ظاهرا، فأول ما ينبغي أن يتخلى عنه العبدُ القاصدُ التدبرَ:

ـ الذنوبُ والمعاصي وطاعةُ الهوى والنفسِ الأمارة بالسوء والشيطان، فمتى ما حلّت هذه الأمور في القلب، وهوتها النفس، أصابت الإنسانَ غشاوةٌ حالت بينه وبين نور الله، فالقرآن الكريم نور الله لا ينتفع لإشعاعه إلا من أحضر قلبَه له، وتطلّعت نفسُه إليه.

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: "فإن اتباعَ الهوى يطمسُ نور العقل، ويُعمي بصيرة القلب، ويصدُّ عن اتباع الحق، ويُضل عن الطريق المستقيم، فلا تحصل بصيرةُ العبرة معه البتة.

والعبد إذا اتبع هواه فسد رأيه ونظرُه، فأرته نفسه الحَسَن في صورة القبيح، والقبيحَ في صورة الحَسَن، فالْتبس عليه الحقب الباطل، فأنّى لها لانتفاعُ بالتذكُّر والتفكُّر أو بالعظة"[122].

والإصرار على الذنوب يميت القلب، وهذا يدعو إلى عدم التأثر بآيات الله البتة، لأن العقلَ عقلُ القلب، يقول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[123]، قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في معرض ذكره للأسباب التي تمنع التدبر: "أن يكون مصرًّا على ذنب، أو متّصفا بكِبْر، أو مبتلًى في الجملة بهوًى مطاع، فإنّ ذلك سببُ ظلمةِ القلب وصدئِه، فهو كالخَبَث على المرآة يمنع أن يتجلّى فيه الحق، فالقلبُ مثلُ المرآة، والشهواتُ مثلُ الصدأ، ومعاني القرآن مثلُ الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضةُ للقلب بإماطة الشهوات مثلُ صقلِ الجلَّاء للمرآة"[124].

ومن الأمور التي يجب على القارئ أن يتحلّى بها وهو مقبل على التلاوة:

أن يستشعر عظم نعمة القرآن، و"أن يعتقد جزيل ما أنعم الله عليه، إذ أهّله لحفظ كتابه، ويستصغرَ عرض الدنيا أجمعَ في جنب ماخوّله الله تعالى، ويجتهدَ في شكره"[125]، ويرى بقلبه كيف لطف الله به فأوصل معاني كلامه العظيم إليه.

أن يعظّم مصدر الكلام وهو الله تعالى، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، ولهذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل ـ رضي الله عنه ـ إذا نشر المصحف قال: كلام ربي، كلام ربي. فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلّم[126].

أن يتخيرَ الوقتَ المناسبَ للتلاوة، لأنه يقصدُ بتلاوته أن يخشع، ويحصلَ على الهداية والتدبر أجمع، فعليه أن يدبّر لنفسه وقتا يكون فيه خالي البال، فيطّرح أشغال الناس والدنيا وراءه، ويقبل على كتاب ربه بقلب حاضر، ونفس شغوف، وأحسنُ وقت لذلك وأفضلُه: وقتُ الليل حيث السكون والطمأنينة، لذلك كانت صلاة الليل من أفضل العبادات التي افترضها الله على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث يقول: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾[127]،

"أي: أجمعُ للخاطرفي أداء القراءة وتفهُّمِها من قيام النهار؛لأنه وقتُ انتشار الناس، ولَغَط الأصوات، وأوقات المعاش"[128].

وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ ﴾: هو أجدرُ أن يُفقَهَ في القرآن"[129].

أن يُحضّر قلبه، ويهيّئ نفسه، ولا يدع للشرود أن يطرق قلبه، ولا لأحاديث النفس أن تغشى فؤاده. قيل لبعض السلف: "إذا قرأتَ القرآن تحدِّث نفسَك بشيء؟، فقال: أوَ شيءٌ أحبُّ إليَّ من القرآن أحدِّثُ به نفسي؟!"[130].

أن يستعيذ بالله تعالى، ويلوذ بحماه من شر الشيطان الرجيم ووسوسته باستحضار قلب، وتفهُّم معنى، كما أمر الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ ﴾[131]، فـ: "الاستعاذة" هي طلب العوذ من الله سبحانه، والعوذ: هو الاعتصام بالله سبحانه من شر الشيطان ووسوسته وكيده.

وأثناء كتابتي لهذه الفقرة فتح الله عزّ وجلّ عليّ بمعنى في الاستعاذة وعلاقتها بالإخلاص وبالاستعانة من القرآن الكريم، وبيان ذلك: أن الله عزّ وجلّ ذكر في قصة عصيان إبليس وعدم امتثاله لأمر الله سبحانه بالسجود لآدم – عليه السلام – أنه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣ ﴾[132]، وهذا أحد السياقات التي ذكرت من تلك المحادثة الجريئة بين إبليس اللعين ورب العزة جل جلاله، فقد أكد إبليس في هذا الموضع أنه قاصر عن إلحاق الغواية بصنف من العباد، وهم المخلِصون، والمخلصون هم من أخلصوا بواطنهم وظواهرهم لله سبحانه، وأقبلوا على ربهم بعبادة وإنابة ممتثلين قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[133]، فالاستعاذة هي استعانة بالله سبحانه واعتصام به من شر هذا العدو المبين، وقراءة القرآن من أشرف العبادات، فبذلك تكون تلاوة القرآن بالاستعاذة قد جمعت قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ في ألحب صورة، وأوضح بيان، والله أعلم.

وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ من فوائد الاستعاذة: "أن الشيطان يُجلِب على القارئ بخيله ورَجْله حتى يشغلَه عن المقصود بالقرآن: وهو تدبرُ هو تفهمُه، ومعرفةُ ما أراد به المتكلمُ به

سبحانه، فيحرصَ بجُهدِه على أن يحُولَ بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكملَ انتفاعُ القارئِ به، فأمر عند الشروع أن يستعيذَ بالله ـ عزّ وجلّ ـ منه"[134].

- أن يزيّن التالي صوته بالقرآن، مع إتقانه لنطق الحروف، والتلفظ بها صحيحة من غير تحريف، وتزيين الصوت مما ندب إليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن"[135]، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به"[136].

ولما سمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صوت أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال له: "لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داوود"[137].

وكان السلف ـ رحمهم الله ـ يستحبون أن يسمعوا القرآن من حَسَن الصوت والأداء، فرُوي أن أسيدَ بنَ الحُضير ـ رضي الله عنه ـ كان من أحسنِ الناس صوتا بالقرآن[138].

وعُرف عقبةُ بن عامر الجهني ـ رضي الله عنه ـ بحسنِ صوته بالقرآن[139].

وعن علقمة بن قيس النخعي قال: كنت رجلا قد أعطاني الله حسنَ الصوت بالقرآن، وكان ابن مسعود يُرسل إليّ فأقرأ عليه، فإذا فرغتُ من قراءتي قال: زد نافدا كأبي وأمي، فإني سمعت رسولَ لله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "إن حسنَ الصوت زينةُ القرآن"[140].

وعن الأعمش قال: " كان يحي بن وثّاب من أحسن الناس قراءة، ربما اشتهيتُ أن أقبّل رأسه من حسن قراءته، وكان إذا قرأ لا تسمع في المسجد حركة، كأن ليس في المسجد أحد"[141].

وسمع طاووس قراءة طلقِ بنِ حبيب ـ رضي الله عنه ـ فقال: "ما رأيتُ أحدًا أحسنَ صوتا منه"[142].

وكان عاصمُ بن أبي النجود المقرئ أحسنَ الناس صوتا بالقرآن، حتى كأنّ في حنجرته جلاجل[143].

ولا ينبغي لقارئ القرآن أن يسرف في الحرص على تزيين القراءة بالصوت والنغم، أو كان منصتا للقرّاء يصطاد عثراتهم ونشازاتهم في الصوت والمقام، ويغفل عن الجوهر الذي من أجله شرعت التلاوة، ألا وهو التأثرُ والخشوعُ، يقول الإمام الآجري عن أمثال هؤلاء: "لا يتأدّب بأدب القرآن، ولا يزجُر نفسَه عن الوعد والوعيد، لاهٍ غافلٌ عما يتلو أو يُتلى عليه، همتُه حفظُ الحروف، إن أخطأَ في حرف ساءه ذلك، لئلا يَنقُص جاهُه عند المخلوقين، فتُنقَض رتبتُه عندهم، فتراهم حزونا مغموما بذلك"[144].

وإنما ينبغي على قاصد الفهم أن يتخذ حسن الأداء وسيلة ومطية إلى حسن الفهم، يقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ: "المطلوب شرعًا إنما هو التحسينُ بالصوت الباعثُ على تدبّر القرآن وتفهُّمِه، والخشوعِ والخضوعِ والانقيادِ للطاعة"[145].

وإذا أراد أن يستمع لتلاوة الآخرين امتثالا لقول الحق سبحانه: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[146]، فعليه أن يُقبل بقلبه، ويُعمل جارحته لاستقبال الهدى والنور، فتصيبه الرحمة والبركة، قال الإمام السعدي رحمه الله ـ: "هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب اللّه يتلى، فإنهم أمور بالاستماع لهو الإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدّث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه. وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإنّ مَن لازَم على هذين الأمرَين حين يُتلى كتابُ اللّه، فإنه ينال خيرا كثير او علما غزيرا، وإيمانا مستمرًّا متجددا، وهدى متزايدا، وبصيرةً في دينه، ولهذا رتّب اللّه حصولَ الرحمة عليهما، فد لذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت أنه محرومُ الحظ من الرحمة، قد فاته خيرٌ كثير"[147].

وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب أن يسمع القرآن من غيره، ويتخير القارئ الحسن المجيد، فقد ثبت أنه طلب من عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن يقرأ عليه فقرأ عليه سورة النساء.

وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يطلب من أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن يقرأ عليه ويقول له: ذكِّرْنا ربَّنا.

وكان عبد اللهُ بنُ مسعود ـ رضي الله عنه ـ يطلب من علقمة أن يقرأ عليه ويقول له: فداك أبي وأمي[148].

- ومما يعين على التدبر، ويثبّت حضور القلب، ويمنع شرود الذهن، الجهر بالتلاوة، فإن القارئ إذا جهر بتلاوته فإنه حينذاك سيُعمل فكره إذا سمع صوته، لذلك استحب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجهرَ بالتلاوة من غير صخَب ولا تعدٍّ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "ما أذِنَ الله لشيء ما أذِنَ لنبيٍّ حسنِ الصوتِ بالقرآن يجهر به"[149].

ومرّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في إحدى الليالي بأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وهو يصلي خافضا صوته، ومر على عمر ـ رضي الله عنه ـ وهو يصلي معليا صوته، فلما اجتمعا عند النبي–صلى الله عليه وسلم– قال النبي—صلى الله عليه وسلم–: "يا أبا بكر مر رتبك وأنت تصلي تخفض صوتك". قال: قد أسمعتُ من ناجيتُ يا رسولا لله. وقال لعمر: "مر رتُبك وأنت تصلي رافعا صوتَك"، قال: يارسول الله أوقظُ الوَسْنان، وأطرُدُ الشيطان. فقال النبي—صلى الله عليه وسلم–: "ياأبا بكرا رفع من صوتك شيئا". وقال لعمر: "اخفض من صوتك شيئا"[150].

أما ما ورد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: "الجاهرُ بالقرآنِ كالجاهرِ بالصدقة، والمسِرُّ بالقرآن كالمسِرِّ بالصدقة"[151]، فقد قال النووي في الجمع بينهما: "أن الإخفاءَ أفضلُ حيث خاف الرياءَ، أو تأذّى مصلون أو نيامٌ بجهره، والجهرَ أفضلُ في غير ذلك، لأن العمل فيه أكثرُ، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلبَ القارئ، ويجمع همَّه إلى الفكر، ويصرِف سمعه إليه، ويطرُد النوم، ويزيد في النشاط. ويدلل هذا الجمع حديثُ أبي داود بسند صحيح عن أبي سعيد— رضي الله عنه –: اعتكف رسول الله في المسجد فسمِعهم يجهَرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: (ألا إنك لّكم من اجِل ربه فلا يؤذِيَنْ بعضُكم بعضًا، ولا يرفعْ بعضُكم على بعضِكم في القراءة). وقال بعضُهم: يستحبُّ الجهرُ ببعض القراءة والإسرارُ ببعضها، لأن المسرَّ قد يمَلُّ في أنسُب الجهر، والجاهر َقد يكِلُّ في ستر يحُب الإسرار"[152].

- أن تكون تلاوة القارئ نظرا في المصحف، فإنه أعقل للذهن من أن يشرد، وإذا انضاف

إليها الجهر بالقراءة يكون قد أصاب القصد بمقتَل، ذلك بأن الذي يقرأ في المصحف وهو جاهر بصوته قد حضر قلبُه تواطأت له أربع جوارح:

- جارحة القلب بحضوره ومنعه من الشرود.

- وجارحة الكلام بتحرك اللسان بالتلاوة.

- وجارحة النظر: بالتلاوة نظرا من المصحف.

- وجارحة السمع: بسماع ما يتلو إذا كان يقرأ جهرا.

وبهذا التواطأ يحصل المقصود من الفهم والتدبر، وحصول التأثر والخشوع.

قال السيوطي: "القراءةُ في المصحف أفضلُ من القراءة من حفظِه، لأن النظر فيه عبادةٌ مطلوبة. قال النووي: هكذا قاله أصحابُنا والسلف أيضا، ولم أرفيه خلافا، قال: ولو قيل إنه يختِلف باختلاف الأشخاص، فيختارُ القراءةَ فيه من استوى خشوعُه وتدبرُه في حالتي القراءة فيه ومن الحفظ، ويختار القراءةَ من الحفظ من يكمُل بذلك خشوعُه، ويزيد على خشوعِه وتدبرِه لو قرأ من المصحف، لكان هذا قولاحسنا"[(153)].

وقد ثبت عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: "أديموا النظرَ في المصحفِ فإنه دينُكم"[(154)].

- أن يقرأ بتؤدة واطمئنان، وترسّل وحسن تلفّظ، ويدقق نظره ويُعمل فكرَه في الآية التي يقرؤها، وهو عينُ التدبر، قال علي ـ رضي الله عنه ـ: "لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا قراءة لا تدبر فيها"، وإن كان تكرار الآية الواحدة يعينه على التدبر فليفعل، وقد ردّد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[(155)].

قال أبو سليمان الداراني: "إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال وخمس ليال، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها"[(156)].

- أن يراعي حسن الابتداء في تلاوته فيبتدئ من معنى تام لا تعلق له بما قبله، ويراعي حسن

الوقوف فيقف على المعاني الصحيحة التامة، والعلم بهذا مظنته علم الوقف والابتداء، وهو علم عظيم، وهو آلة المتدبرين لكلام الله تعالى، ومعرفته تكشف للقارئ من أسرار القرآن الشيءَ الكثير. فعلى كل متصدٍّ لتلاوة كتاب الله تعالى أن يتعلمه حتى لا يفسد تلاوته بوقوفه على ما لا يحسن الوقوف عليه، أو الابتداء من حيث لا يحسن الابتداء منه.

قال الإمام الهذلي: "الوقف حلية التلاوة وزينة القارئ، وبلاغ التالي، وفهمٌ للمستمع، وفخرٌ للعالم، وبه يُعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتباينين، والحكمين المتغايرين"[157].

عن أُبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "يا أُبيّ بن كعب إني أقرئت القرآن، فقيل لي: على حرف أو على حرفين؟، قال: فقال الملك الذي معي: على حرفين، فقلت: على حرفين، فقال: على حرفين أو ثلاثة؟، فقال الملك الذي معي: على ثلاثة، فقلت: على ثلاثة، حتى بلغ سبعة أحرف ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت: غفورا رحيما، أو قلت: سميعا عليما، أو قلت عليما سميعا فالله كذلك، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب"[158].

والشاهد من هذا الحديث قوله في آخره: " ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب"، ومعناه: أن الذي لا يحسن الوقوف في تلاوته فيُصيّر آية الرحمة آية عذاب، وآية العذاب آية رحمة قد أفسد المعنى من التلاوة، وخرج بالقرآن عما أنزل عليه، ومثال ذلك: أن يقرأ القارئ قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[159] ويقف، فمن فعل هذا فقد وقع في المحذور المذكور في الحديث.

قال الإمام ابن الجزري: "لـمّا لم يمكنِ القارئُ أني قرأ السورةَ أوالقصةَ في نفَس واحد، ولم يجز التنفس بينك لمتين حالةَ الوصل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة، وجب حينئذ اختيارُ وقفٍ للتنفس والاستراحة، وتعيّن ارتضاءُ ابتداءٍ بعده، وتحتَّم ألَّا يكون ذلك مما يحيل المعنى، ولا يُخلُّب الفهم، إذ بذلك يَظهر الإعجازُ، ويَحصُل القصدُ، ولذلك حضَّ الأئمةُ على تعلُّمِه ومعرِفتِه"[160].

ويلحق بهذا أن يبتدئ القارئ من وسط قصص، أو سياق متصل، أو يقف من غير إتمام للسياق أو القصص، يقول الإمام النووي مبينا ذلك: "ينبغي للقارئ إذا ابتدأ من وسَط السورة، أو وقف على غيرِ آخرِها أن يبتدئَ من أول الكلام المرتبِط بعضُه ببعض، وأن يقف على الكلام المرتبِط، ولا يتقيَّدَ بالأعشار والأجزاء، فإنها قد تكون في وسط الكلام المرتبِط، كالجزء الذي في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ ﴾ [161]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ ﴾ [162]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [163]، فكلُّ هذا وشبيهُه ينبغي أن لا يُبتدأَ به ولا يوقف عليه فإنهم تعلق بما قبله"[164].

- أن يحاول تفصيلَ الآية بما يناسبها من المعاني، "ويستوضحَ من كلِّ آية ما يليق بها، مثلَ أن تأتي صفات الله عزّ وجلّ في قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [165]، وإذا تلا: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ٥٨ ﴾ [166]، تفكَّرَ في نطفةٍ متشابهةِ الأجزاء كيف تنقسمُ إلى لحمٍ وعِرق وعظمٍ وعصَبٍ، وإلى تشكُّل أعضائها بأشكال مختلفةٍ من رأس ويدٍ ورِجل، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة، كالسمع والبصر والعقل، وإلى الصفات المذمومة كالغضب والشهوة والجهل....وإذا تلا أحوالَ المكذبين فليستشعرِ الخوف من السطوة إن غفل عن امتثال الأمر، ومتى لم يفهم ما يتلو فكأنه ما تلا"[167].

- أن يعلم يقينا أنه المقصودُ بكل خطاب في القرآن، وبكلِّ وعد ووعيد، وأن القصصَ قد جيءَ بها للاعتبار وليس للسمر، وأن الأحكامَ قضاها الله لتنظيم معاشِ العباد ومعادِهم، فإذا حصل هذا تأثَّر القلب وكانت الخشيةُ والحزنُ أغلبَ عليه.

يقول الحسن البصري– رحمه الله –: "والله ما أَصبحَ اليومَ عبدٌ يتلو هذا القرآنَ يؤمن به إلا كَثُر حزنُه، وقلَّ فرحُه، وكثُر بكاؤه، وقلَّ ضحِكُه".

وقال وُهيب بن الورد– رحمه الله –: "نظرْنا في هذه الأحاديث والمواعظِ فلم نجد شيئا أردَّ للقلوب، ولا أشدَّ استجلابا للحزن من قراءةِ القرآن وتفهُّمِه وتدبُّرِه"[168].

ومن كان ساهيا إذا تلا، ولم يكن حظُّه من التلاوة إلا حركةُ لسانه كان داخلا في قوله

تعالى: ﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ [169]، وكان كـ "من كرر كتاب الملِك في كل يوم مرات، وقد كتب إليه يأمره بعمارة مملكته، وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه" [170].

خاتمة: نسأل الله حسنها

يعلم – مما سبق عرضه – ما لهذه الأمة من عظيم الشرف الذي اختصها الله به، وجميل الذكر الذي حباها بالتميز به، وما هذا إلا بشرف كلامه سبحانه، فكلامه عظيم بعظمة قائله – عظُم في علاه –، ولا يقدر قدر العظيم إلا من آتاه الله العقل والحكمة، ففهم خطاب الله إليه، وأعمل فكره فيه، واستحدث منه العبرة، واستخلص الخشوع والخشية.

وقد ذكر سبحانه أن هذا القرآن نافعٌ لمن أقبل عليه، وتعرّض لنورِه وبركتِه، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧ ﴾ [171]، يقول شيخُ الإسلام ابنُ تيمية:

"ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسولِه بعقلِه، وتدبَّره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة، والهدى وشفاءِ القلوب، والبركةِ والمنفعةِ مالايجدُه في شيءٍ من الكلام" [172].

وأخبر سبحانه أنه لو أنزله على الجبال الراسيات، الجمادات الصلاب القاسيات، لخشعت ولانت، يقول سبحانه: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ [173]، فـ "حثّ– سبحانه– على تأمُّل مواعظ القرآن، وبيّن أنهلاعذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال معتركيب العقل فيه الان قادت لمواعظه، ولرأيتَها على صلابتها ورزانتها خاشعةً متصدِّعة، أي متشقّقة من خشية الله" [174].

فمن ترك تدبُّر القرآن صار شرّا من تلك الجمادات بل قد أشبه المنافقين — نسأل الله عفوَه ومعافاته – يقول سبحانه موبِّخا لهم: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾ [175]، قال القرطبي: "عاب المنافقين بالإعراض عن التدبر في القرآن والتفكر فيه وفي معانيه" [176].

وقد وصف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخوارج بـ "أنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم"، قال الزركشي: "ذمهم بإحكام ألفاظه وترك التفهّم لمعانيه"(177).

فنسأل الله سبحانه بمنه وكرمه، أن يفتح قلوبنا لتدبر كلامه، والاستهداء بهداه، واكتساب الخشية والخوف منه، وأن يفيض علينا من فيوض علمه وحكمته ما يمكننا من استكناه أسرار كتابه، ويشع علينا من نوره ما يزيح عنا حجب الجهل والظلم، ويتداركنا بنعمة منه فنقدره حق قدره، ونفقه مراده، ونتبع سنة نبيه المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ، إنه ولي الإجابة، وبه الاعتصام، وإليه الإنابة، وله الإخلاص، وعليه التوكل، ومنه الفضل والمنة سبحانه.

وصلى الله وسلم على سيد المتدبرين، وإمام الخاشعين، وخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الطاهرين، وصحبه الصادقين، ومن اقتدى بهم، واهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

تم بحمد الله وتوفيقه

المراجع:

1. إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
2. أخلاق حملة القرآن للإمام أبي بكر الآجري، تحقيق: محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة: 1424هـ/2003م.
3. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
4. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر مطبعة السنة المحمدية، 1369هـ، القاهرة.
5. أمراض القلوب وشفاؤها، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المكتبة السلفية، القاهرة، 1399هـ.
6. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
7. التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام شرف الدين النووي، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم، بيروت.
8. تفسير الإمام ابن كثير الدمشقي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى: 1421هـ/2000م.
9. تفسير الإمام السعدي، اعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى: 1422هـ.
10. الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله البخاري، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى: 1417هـ/1997م.
11. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ/2003م.

12. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية، مكتبة الإيمان، القاهرة.

13. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة: 1405هـ.تفسير الإمام محمد متولي الشعراوي، مطبعة أخبار اليوم، القاهرة.

14. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنًا، مؤسسة الأعظمي للمطبوعات 1412هـ.

15. الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

16. الرقة والبكاء، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ/1998م.

17. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام أبي الفضل محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

18. الزهد للإمام عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

19. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

20. سنن أبي داوود، دار الكتاب العربي، بيروت.

21. السنن الكبرى للحافظ أبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة الباز، 1414هـ ـ 1994م، مكة المكرمة.

22. سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية: 1406هـ/1986م.

23. سنن سعيد بن منصور الخراساني، تحقيق: سعد بن عبد الله الحميد، دار العصيمي، الرياض، الطبعة الأولى: 1414هـ.

24. السنن لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

25. سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ونعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1413هـ.

26. شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية: 1392هـ.

27. شرح تنقيح الفصول في علم الأصول للقرافي، مكتب البحوث والدراسات بدار الفكر، بيروت.

28. شرح مختصر الروضةللطوفي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1407هـ ـ 1987م.

29. شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

30. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1414هـ/1993م.

31. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
32. غاية النهاية في طبقات القراء، للإمام ابن الجزري، تحقيق: ج.برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
33. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن باز، والشيخ محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
34. فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: جماعة من المحققين، دار ابن كثير، دمشق.
35. الفوائد لابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق.
36. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية: 1391هـ/1972م.
37. مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
38. المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ ـ 1991م.
39. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1420هـ/1999م.
40. مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد.
41. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة الأولى: 1399/1979م.
تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
42. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن الحلبي، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: 1416هـ/1996م.
43. المقدمات الأساسية في علوم القرآن، لعبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان، الطبعة الثانية: 1424هـ ـ 2004م.
44. منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: كامل محمد الخراط، دار التوفيق، دمشق.
45. النشر في القراءات العشر، للإمام شمس الدين ابن الجزري، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا.

الهوامش:

(1) يونس، الآية: 57.

(2) من كلام لابن القيم في مفتاح دار السعادة (553/1).

(3) ص، الآية: 29.

(4) مفتاح دار السعادة لابن القيم (553/1).

(5) المائدة الآية: 48.

(6) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة ـ ن هـ ج ـ (361/5)، وتاج العروس للزبيدي (251/6).

(7) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة ـ أ ص ل ـ (109/1)، وتاج العروس للزبيدي (449/27).

(8) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة ـ د ب ر ـ (324/2)، وتاج العروس للزبيدي (265/11).

(9) روح المعاني للآلوسي (92/5).

(10) تفسير السعدي (329/1).

(11) تفسير القرطبي (38/19).

(12) سير أعلام النبلاء (180/8).

(13) ق، الآية: 37 . انظر الفوائد لابن القيم (ص: 5).

(14) الجواب الكافي، ص: 19.

(15) اخرجه سعيد بن منصور في سننه، فضائل القرآن (211/1).

(16) ص، الآية: 29.

(17) تفسير ابن كثير (86/12).

(18) تفسير السعدي (1493/4).

(19) الزمر، الآية: 23.

(20) يونس، الآية: 57.

(21) ص، الآية: 29.

(22) الزمر، الآيتان: 17 – 18، أخلاق حملة القرآن للآجري ص: 33، 34.

(23) من الجَدَا وهو العطيّة.

(24) القيامة، الآيات: 16 – 19.

(25) مقتطع من حديث رواه عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (رقم: 5، ص: 2)، ومسلم: باب الاستماع إلى القراءة (330/1 رقم: 448).

(26) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل (رقم: 4981، ص: 1084).

(27) فتح الباري لابن حجر (7/9).

(28) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الواقعة (رقم: 3297، 402/5).

(29) فيض القدير: (168/4).

(30) ال عمران، الآية: 190.

(31) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب التوبة (386/2)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح على شرط مسلم، وأورده ابن كثير في تفسيره (303/3) عند تفسير تلك الآيات.

(32) تفسير القرطبي (310/4).

(33) المائدة، الآية: ١١٨. والحديث رواه الإمام أحمد في المسند (256/35)، والنسائي باب: ترديد الآية (177/2)، وابن ماجه باب: ما جاء في القراءة في صلاة الليل (429/1).

(34) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: 157)، وأخلاق حملة القرآن للآجري (ص: 95)، وتفسير ابن كثير (111/1).

(35) الزهد لابن المبارك (ص: 97)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (214/3).

(36) الزيادة رواها الإمام أحمد في مسنده (256/35).

(37) مفتاح دار السعادة لابن القيم (553/1).

(38) أخلاق حملة القرآن للآجري (ص: 38).

(39) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن (رقم: 5055، ص: 1098)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر (551/1).

(40) تفسير القرطبي (197/5).

(41) البقرة، الآية: 28. والكلام من تفسير الإمام الشعراوي (2250/4).

(42) رواه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (536/1).

(43) شرح النووي على مسلم (62/6).

(44) اخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الإيمان (91/1، رقم: 101)، والبيهقي في السنن الكبرى باب بيان أنه إنما قيل (يؤمهم أقرؤهم) (120/3).

(45) اخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (117/6)، وأحمد (410/5).

(46) اخرجه ابن جرير في مقدمة تفسيره (35/1).

(47) المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله بن يوسف الجديع (ص: 468).

(48) تفسير القرطبي (249/15).

(49) الزلزلة، الآية: 01.

(50) شعب الإيمان للبيهقي (410/5)، والرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: 81).

(51) أخرجه البخاري، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر (رقم: 2297، 451).

(52) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من أسمع الناس تكبير الإمام (رقم: 712، 143)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (311/1).

(53) الطور، الآيتان: 7 -8.

(54) تفسير ابن كثير (229/1)، فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: 135).

(55) فضائل القرآن لأبيعبيد (ص: 135).

(56) سير أعلام النبلاء (352/3).

(57) النساء، الآية: 41.

(58) سير أعلام النبلاء (214/3).

(59) سير أعلام النبلاء (195/1).

(60) سير أعلام النبلاء (305/3).

(61) الأنفال، الآية: 02.

(62) تفسير القرطبي (40/1).

(63) سير أعلام النبلاء (349/3).

(64) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج (رقم: 6930، ص: 1454)، ومسلم باب التحريض على قتل الخوارج (746/2)، من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

(65) سنن الترمذي (ص: 495).

(66) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذّ (563/1).

(67) الحديد، الآية: 16.

(68) تفسير ابن كثير (421/13)، تفسير القرطبي (249/17).

(69) سير أعلام النبلاء (214/3).

(70) المائدة: 83.

(71) تفسير القرطبي (366/7).

(72) سير أعلام النبلاء (600/4).

(73) إحياء علوم الدين (285/1)، ربيع الأبرار (155/1).

(74) الإسراء، الآية: ٨٢، إحياء علوم الدين (285/1).

(75) سير أعلام النبلاء (397/8).

(76) ربيع الأبرار (155/1).

(77) تفسير القرطبي (62/17).

(78) سير أعلام النبلاء (426/8).

(79) ربيع الأبرار (155/1).

(80) أمراض القلوب وشفاؤها (ص: 75).

(81) الأنعام، الآية: 82.

(82) لقمان، الآية: 13.

(83) البرهان في علوم القرآن للزركشي (14/1).

(84) ص، الآية: 29.

(85) القمر، الآية: 17.

(86) منهاج القاصدين (259/1).

(87) المزمل، الآية: 04.

(88) النشر في القراءات العشر (169/1).

(89) المرجع السابق.

(90) التبيان للنووي (ص: 91).

(91) عمدة القاري للعيني (190/1).

(92) القيامة، الآيات: 16 – 19.

(93) مقتطع من حديث رواه عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (رقم: 5، ص: 2)، ومسلم: باب الاستماع إلى القراءة (330/1 رقم: 448).

(94) النشر (172/1).

(95) أخرجه ابن ماجه، باب فضل عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه ـ (49/1)، وأحمد (35/1).

(96) غريب الحديث لابن الجوزي (227/2).

(97) منهاج القاصدين لابن الجوزي (255/1).

(98) يوسف، الآية: 02.

(99) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: 203).

(100) الإتقان للسيوطي (480/2).

(101) الرسالة للشافعي (ص: 48، 49).

(102) شعب الإيمان (543/3)، البرهان للزركشي (160/2).

(103) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (252/32).

(104) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: 6).

(105) الحجر، الآية: 09.

(106) الإتقان للسيوطي (160/1).

(107) البرهان للزركشي (160/1).

(108) الفرقان، الآية: 32.

(109) تفسير القرطبي (28/13).

(110) المقدمات الأساسية للجديع بتصرف (ص: 51).

(111) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (339/13).

(112) البرهان للزركشي (29/2).

(113) النساء، الآية: 122.

(114) الزمر، الآية: 23.

(115) يوسف، الآية: 111.

(116) يوسف، الآية: 111.

(117) مدارج السالكين (449/1).

(118) شرح مختصر الروضة للطوفي: (577/3).

(119) شرح تنقيح الفصول في علم الأصول للقرافي ص: (476).

(120) الحج، الآية: ٣٢.

(121) تفسير ابن كثير (53/10)، تفسير القرطبي (56/12).

(122) مدارج السالكين (449/1).

(123) الحج، الآية: 42.

(124) منهاج القاصدين لابن الجوزي (256/1)، والجلّاء: هو الذي يجلو المرآةَ ويصقلُها ويزيلُ صدأَها.

(125) البرهان للزركشي (468/1).

(126) من منهاج القاصدين (254/1) بتصرف.

(127) المزمل، الآية: 06.

(128) تفسير ابن كثير (163/14).

(129) رواه أبو داوود، باب نسخ قيام الليل والتيسير فيه (503/1)، والبيهقي في السنن الكبرى، باب في قيام الليل (704/2) .

(130) منهاج القاصدين (254/1).

(131) النحل، الآية: 98.

(132) ص، الآيتان: 82 - 83.

(133) الفاتحة، الآية: 05.

(134) إغاثة اللهفان لابن القيم (93/1).

(135) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (وأسروا قولكم أو اجهروا به ...) (رقم: 7527، ص: 1581).

(136) متفق عليه، أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب التوحيد، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (الماهر بالقرآن مع الكرام السفرة البررة) (رقم: 7544، ص: 1585)، ومسلم، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (545/1).

(137) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بقراءة القرآن (رقم: 5048، ص: 1097)، ومسلم، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (546/1).

(138) سير أعلام النبلاء (341/1).

(139) سير أعلام النبلاء (468/2).

(140) سير أعلام النبلاء (58/4)، غاية النهاية (230/1).

(141) سير أعلام النبلاء (381/4).

(142) سير أعلام النبلاء (601/4).

(143) سير أعلام النبلاء (257/5)، غاية النهاية (153/1).

(144) أخلاق حملة القرآن (ص: 32).

(145) تفسير ابن كثير (90/1).

(146) الأعراف، الآية: 204.

(147) تفسير السعدي (603/2).

(148) مضى تخريج وعزو هذه الآثار.

(149) مضى تخريجه.

(150) رواه أبو داوود في سننه، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل (509/1)، والترمذي، باب ما جاء في قراءة الليل (309/1).

(151) رواه أبو داوود، باب: في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل (510/1)، والنسائي باب: المسرّ بالصدقة (80/5).

(152) الإتقان للسيوطي (287/1)، والحديث رواه أبو داوود، باب: في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل (510/1).

(153) الإتقان للسيوطي (287/1).

(154) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (508/3)، وانظر الإتقان للسيوطي (288/1).

(155) المائدة، الآية: 118. والحديث رواه الإمام أحمد في المسند (256/35)، والنسائي باب: ترديد الآية (177/2)، وابن ماجه باب: ما جاء في القراءة في صلاة الليل (429/1).

(156) منهاج القاصدين (255/1).

(157) الكامل للهذلي نقلا عن لطائف الإشارات (ص: 249).

(158) اخرجه أحمد (124/5)، وأبو داود باب الدعاء (76/2).

(159) فاطر، الآية: 7.

(160) النشر لابن الجزري (182/1).

(161) يوسف، الآية: 53.

(162) النمل، الآية: 56.

(163) الأحزاب، الآية: 31.

(164) التبيان للنووي (ص: 116).

(165) الشورى، الآية: 11.

(166) الواقعة، الآية: 58.

(167) منهاج القاصدين لابن الجوزي (255/1).

(168) كلا الأثرين في إحياء علوم الدين للغزالي (54/2).

(169) البقرة، الآية: 78.

(170) منهاج القاصدين بتصرف (256/1، 257).

(171) القمر، الآية: 17.

(172) اقتضاء الصراط المستقيم (ص: 384).

(173) الحشر، الآية: 21.

(174) تفسير القرطبي (44/18).

(175) النساء، الآية: 82.

(176) تفسير القرطبي (290/5).

(177) البرهان للزركشي (455/1).